ماله بعد لقايه الملك واصطفايه بالنبوه واما لم يصح فيه تعيين وقت وروده فيمكن حمله
على اول احواله صلى الله عليه وسلم من بدو الارهاصات ولطرو التباشير حين عرضت له
العجايب من تسليم الشجر والحجر واظلال الغمام تانيسا له عليه الصلاه والسلام وتمرينا
على تحمل اعبايها لئلا يفجاه الامر مشاهدة ومشافهة فلا يحتمله من حيث بنيته البشرية
وهذا احمل قوله لها ايضا كما في رواية حماد بن سلمه اني لاسمع صوتا وارى ضوا واخشى
ان يكون بي جنون وقوله في بعض الاحاديث ان الابعد شاعر او مجنون والفاظ
معناها الشك لو صح شي من ذلك لكنه لم يصح طريق شي منها واما بعد اعلام الله
له بالاصطفا والنبوه ولقايه الملك فلا يصح عليه صلى الله عليه وسلم ريب ولا يجوز
عليه شك فيما القي اليه فان قلت فما محمل قول معمر في فترة الوحي فحزن النبي
صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رووس شواهق
الجبال قلت هو لا يقدح في هذا الاصل لانه لم يسنده ولا ذكر رواته ولا من حدث
به ولا ان النبي صلى الله عليه وسلم قاله ومثل هذا لا يتلقى الا عنه صلى الله عليه وسلم
مع انه كان حمله ان صح على انه لما اخرجه من تكذيب من بلغه على حد فلعلك باخع
نفسك على اثارهم ان لم يومنوا بهذا الحديث وهذا احمل حزنه وترمله باثوابه وتدثره
بها لما اجتمع راي المشركين في دار الندوة بعد التشاور في شانه صلى الله عليه وسلم
على ان يقولوا انه ساحر كما يمكن حمله ايضا على انه غم بفعله ذلك بنفسه
لخوفه ان الفترة لامر او سبب منه فخشي ان تكون عقوبة من ربه تادبا لها ولم يرد
بعد شرع بالنهي عن قتل الشخص نفسه حتى يعترض به على هذا المحمل فان قلت
فما محمل قوله تعالى في شان يونس وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر
عليه قلت الصحيح ان مغاضبته انما هي لقومه لكفرهم كما قاله ابن عباس والضحاك
وغيرهما لا لربه اذ مغاضبة الله معاداة له ومعاداة الله كفر لا تليق باحاد المومنين
فكيف بالانبيا وقيل ان مغاضبا معناه مستحييا من قومه ان يسموه بالكذب
حين وعدهم العذاب وجا اوانه ولم يات به وقيل خايفا من قومه ان يقتلوه كما ورد
في الخبر وقيل مغاضبا لبعض الملوك فيما امره به من التوجه الى امر امره الله به
على لسان نبي اخر فقال له يونس غيري اقوى عليه مني فعزم عليه فخرج
لذلك مغاضبا له واما قوله في صفته فظن ان لن نقدر عليه فمعناه ان لن
نضيق عليه والحق انه عليه الصلاه والسلام طمع في رحمة الله وان لا يضيق
عليه مسلكه في خروجه وقيل حسن ظنه بمولاه ان لا يقضي عليه بالعقوبة
ومعناه ان لن نقدر عليه ما اصابه من التقدير لا من القدرة كما في نقدر عليه
بالتشديد وقيل معناه فواخذه بغضبه وذهابه وقال ابن دريد معناه افظن
ان لن نقدر عليه على الاستفهام ولا يليق ان يظن نبي ان يجهل صفة من صفات

بلغ

ربه

ربه على انه روي عن ابن عباس ان ارسال يونس ونبوته انما كان بعد ان نبذه الحوت
واستدل من الاية بقوله فنبذناه بالعرا وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين
وارسلناه الى مايه الف او يزيدون وقد يستدل ايضا بقوله فاجتباه ربه فجعله
بعد قوله ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم الاية فتكون هذه القصة
قبل نبوته فان قلت فما معنى قوله عليه الصلاه والسلام انه ليغان على
قلبي فاستغفر الله كل يوم مايه مرة وفي طريق اخر في اليوم اكثر من سبعين مرة
قلت الغين هنا اشارة الى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن
مداومة الذكر ومشاهدة الحق بسبب ما كان يعرض له صلى الله عليه وسلم من
مقاسات البشر وسياسة الامة ومعاناة الاهل ومصلحة النفس وما كلفه
من اعبا الرسالة وحمل الامانه وهو في كل هذا في طاعة ربه وعبادة خالقه ولكنه صلى
الله عليه وسلم لما كان ارفع الخلق عند الله مكانة واعلاهم درجة واتمهم به
معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلوه وتفرده بربه واقباله بكليته عليه
ومقامه هنالك ارفع حاليه راى عليه الصلاه والسلام حال فترته عنها وشغله
بسواها غضا من علي حاله وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك هذا
اولى وجوه الحديث واشهرها وحوله حام الكثير وعليه مدار فهم الجم الغفير قاله
القاضي عياض وهو مبني على جواز الفترات والغفلات والسهو في غير طريق البلاغ
على ما سياتي واما على ما ذهبت اليه مشيخة المتصوفه وارباب القلوب من امتناع السهو
والغفلة عليه صلى الله عليه وسلم في جميع الاحوال فنادوا له بصرف الاستغفار
لاحوال تعتري خاطره وتنغص فكره من امور امته اهتماما بهم وشفقة عليهم فالاستغفار
مصروف اليهم فتلك الاحوال محموله عليهم ومنهم من حمل الغين هنا على السكينة التي
تتغشاه لقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه او على حالة خشية واعظام واجلال
تغشى قلبه واستغفاره عليه الصلاه والسلام عندها اظهارا للعبودية ومزيد
الافتقار واداء لشكر الله ومنهم من تاول صدور الاستغفار منه عليه الصلاه والسلام
على تعليم الامه وحثهم على الاتيان به والخوف من الذنوب حتى لا يركنوا الى
الامن واياك ان يقع في بالك او يجول في هواجس نفسك ان هذا الغين وسوسة
او ريب خالج قلبه الشريف فتزل بك القدم ولا ينفعك الندم ولا يسلم لك حسب
الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم فان قلت ما اصل الغين لغة قلت
اصله من غين السما وهو اطباق الغيم عليها ثم نقل الى ما يغشى القلب ويغطيه
على ما قاله ابو عبيده واما الى ما يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية كالغيم الرقيق
الذي يعرض في الهوا فلا يمنع ضو الشمس على ما قاله غيره فان قلت قوله كل يوم
وقوله اكثر من سبعين مرة معمولات ليغان او لاستغفر قلت لاستغفر جي

Copyright © King Saud University